أجرى المقابلة: خلود مصالحة

مقابلة خاصة مع المؤرخ والأستاذ في «الجامعة العبرية»- القدس

البروفسور هيلل كوهين: «حق اليهود» كابوس للفلسطينيين لكن لا يمكن إنكاره!

*** بمرور الأيام وصلت إلى خلاصةٍ، مفادها أنّ هناك شعباً فلسطينياً منكوباً ومظلوماً وله حقوق، وبدأ التغيير عندي، لكنّ هذا التغيير رافقته قلة الحيلة، فما عساني أن أفعل؟!**

*** الطريق الوحيدة للتسوية السياسية هي ضغط دولي على إسرائيل والفلسطينيين أو مشاركة دولية فعّالة، وهذا الخيار غير متوفر حالياً لكثرة المشاكل في العالم وعدم انشغاله بالقضية الفلسطينية الآن**

عندما تقرأ معظم مؤلفات البروفسور هيلل كوهين، سيتبادر إلى مخيلتك أنّ شخصاً يساريّاً يجلس أمامك، فإصدارته تميّزت بإنصاف الموضوع الفلسطيني على نحوٍ كبير، لكن هذا اللقاء معه يترك لديك الكثير من التساؤلات والتخبطات، وفي مقدمها ذلك التضاد بين هذا الإنصاف وإفراطه في التمسك بما يسميه «الحق اليهودي» في فلسطين.

هو بلا شك منصف للحقائق في سردها الجافّ، وإنسانيّ في فهمها والتجاوب معها، إلا أنه وفي الوقت ذاته لا يسقط حق اليهود في هذه البلاد.

يرفض كوهين قطعياً أي ادعاء ينزع أحقية اليهوديّ في هذه الأرض، وفي المقابل يؤكد أنّ «حلمنا كيهود في الوصول إلى الهيكل هو بمثابة الكابوس للفلسطيني».

ما بين إنسانيته والتزامه بـ «الحق اليهوديّ» يناور البروفسور كوهين، يكتب عن القضية الفلسطينية ويحاول أنّ يشرح لطلابه أنّ اللجوء لا يقتصر على اليهوديّ، فالفلسطيني أيضاً عانى ويعاني من اللجوء حتى في وطنه، كما من تهجيره وتشريده، وبقي حلمه حتى مع مضي عشرات السنوات هو العودة إلى قريته. يكتب عن روايتنا الفلسطينية معززاً روايتهم اليهودية، ويمنحنا حقنا كفلسطينيين دون أن ينزع «حقهم» كمحتلين، وعندما تحاول جره

إلى مسألة الحسم المطلوب للب الصراع العربي الفلسطيني، يؤكد أنّ وظيفته كمؤرخ قراءة التاريخ وإبعاده عن الأساطير قدر الإمكان والحفاظ على الحقائق من التزييف، فهو «يهتم بتشخيص الواقع محاولاً ما تمكّن الابتعاد عن دلالاته السياسيّة»، على حد تعبيره.

التقيناه في مكتبه في القدس، وهو محاط بالكتب العربية، جزء منها ديني والباقي روايات، لكن الطاغي على المنظر هو اللغة العربية التي أكد كوهين خلال المقابلة، وفي أكثر من مناسبة، أنه يعشقها.

بدأنا اللقاء بالسؤال التقليدي: من هو هيلل كوهين؟ فأجاب قائلاً:

«أنا من مواليد القدس عام ١٩٦١، وُلدت لعائلة متدينة، وتركيبتها سوسيولوجيّاً ليست عادية. فوالدتي وصلت إلى البلاد من بولندا عام ١٩٣٢، تقريبًا قبل الحرب العالمية الثانية، ووالدي وصل من أفغانستان مع الهجرة الكبيرة عام ١٩٥١– ١٩٥٢. هذا يعني أنّ نصفي شرقي والآخر غربي، وهذا أيضاً هو شعوري الداخلي.

عائلتي متدينة جداً، ولذا كان هناك وجود واضح لله في البيت. طوال الوقت تعلمنا التوراة التي كانت جزءاً من حياتنا، وتربينا على إيمانٍ مطلق بالمثلث اليهودي، وهو يختلف عن الثالوث المقدس في المسيحية. فالمثلث اليهودي مكوّن من: الشعب اليهودي والتوراة وأرض الميعاد، وعلى هذا الأساس تربيت؛ على محبة اليهودي وخدمة التوراة والعمل طوال الوقت للحفاظ على أرض الميعاد والوصول إليها.

ولدت قبل النكسة، واعتاد أهلي اصطحابنا إلى الحدود الفاصلة بين القدس الشرقية والغربية، وهناك كانوا يحدثوننا عن جبل الهيكل؛ هيكل سليمان الذي نقرأ عنه في التوراة، ودائماً كان والدي يؤكد على مسامعنا أنه يوماً ما سنكون خادمين في الهيكل، خاصة أننا من عائلة كوهين (الكهنة)، وأن نكون خدماً في الهيكل يعني أنّ هذا الأمر جزء من حياتنا.

أثناء النكسة (١٩٦٧)، وعندما كان عمري ٦ سنوات، شارك والدي في الحرب، كان جندياً في منطقة بيت لحم، وتاريخيّاً لم تقع في تلك المنطقة حرب قاسية، لكنه كان من القوات التي دخلت إلى قرى غرب بيت لحم، ومنها الخضر وبتير وحوسان وغيرها، ولاحقاً وصلت إلى القدس والحرم.

مع كل هذا كانت عائلتي إنسانية في الدرجة الأولى، أي أنها كانت تحترم الآخرين، بغض النظر عن قوميتهم أو دينهم. أذكر أنه في عام ١٩٦٨ وصلنا إلى منطقة معينة، وكان هناك نفر كثير في الشوارع، بينهم الكثير من العرب، وصرخ أحد اليهود: «عربوشيم»، وهي كلمة تحقير تشير إلى وجود الكثير من العرب في المنطقة، وحينها توجهت والدتي إليه وقالت موبخة: «هؤلاء أيضاً بنو آدم، من

هيلل كوهين.

فضلك لا تتكلم بهذا الشكل»، وكان هذا جزءاً من التربية في العائلة.

انضممت إلى حركة «بني عكيفا» الدينية وأنا طالب مدرسة ابتدائية، وفي العام ١٩٧٥ عندما كان عمري ١٤ عاماً، تأسست الحركة الاستيطانية «غوش إيمونيم»، وقتها كنت أحب فكرة أنّ هذه الأرض لنا، ولنا الحق في أن نستوطن أينما نريد في أرض الميعاد، واشتركت في فعاليات متنوعة وكثيرة لهذه الحركة، ولاحقاً بسبب النشاطات تركت المدرسة.

في عام ١٩٧٧ جرت انتخابات أسفرت عن فوز مناحيم بيغن، زعيم الليكود، بمنصب رئيس الحكومة. وآنذاك كان موضوع الاستيطان سياسة حكومية يجب أن تطبق وتتحول من مجرد مقولة إلى حقيقة فعلية. وعليه، تمّ في تلك الفترة تأسيس الكثير من المستوطنات في منطقة الضفة الغربية، منها مستوطنة بيت إيل.

ولأنني تركت المدرسة في تلك الفترة ولم يكن لي الكثير لأعمله، توجه إليّ أصدقاء وقالوا لي إننا سنبني مستوطنة بيت إيل، وإذا كنت ترغب فبإمكانك الانضمام إلى المجموعة التي ستبنيها. وفي المستوطنة أسسوا مدرسة دينية (ييشيفاه)، وفي تلك الفترة كنا ثلاثة تلاميذ فقط، علماً أنها اليوم تستقطب قرابة الـ ٧٠٠ تلميذ، وفي البداية أحضروا لنا بيتاً متنقلاً أو ما يسمى «كرافان»، عشنا فيه ودرسنا التوراة خلال ساعات اليوم.

كنت ولا أزال أُحب التنزه كثيراً، فاعتدت التنزه من بلد إلى آخر، وقد زرت سلوان وأبو ديس وغيرهما من القرى الفلسطينية المجاورة للقدس وأنا فتى عمره ١٠ أعوام أو ١١ عاماً. أحببت اللغة العربية فاشتريت لي كتاباً وبدأت أتعلم هذه اللغة وأُحاول التدرب على ممارستها.

عندما وصلت إلى مستوطنة بيت إيل، كنت أود أن أتعرف على

((عندما وصلت إلى مستوطنة بيت إيل، كنت أود أن أتعرف على القرى التي تجاور المستوطنة. فمثلاً، من جهة الشمال الشرقي هناك قرية دورا القرع وقرية بيتين، ومن جهة الشمال الغربي قرية جفنا ومخيم الجلزون. كان ذلك عام ١٩٧٨، وكان هناك ما يسمى إكرام الضيف، ومن طريق استعمال هذا استطعت أن أزور العشرات من البيوت والقرى، حيث نمت وأكلت وشربت وتعاملوا معي باحترام شديد وبكرم الضيافة المعروفة في تلك الفترة.

عندما كنت أزور البيوت، كنت أجلس وأستمع إلى القصص والحكايات من الكبار في السن، أي من أشخاص عايشوا النكبة.))

القرى التي تجاور المستوطنة. فمثلاً من جهة الشمال الشرقي هناك قرية دورا القرع وقرية بيتين، ومن جهة الشمال الغربي قرية جفنا ومخيم الجلزون. كان ذلك عام ١٩٧٨ ، وكان هناك ما يسمى إكرام الضيف، ومن طريق استعمال هذا استطعت أن أزور العشرات من البيوت والقرى، حيث نمت وأكلت وشربت وتعاملوا معي باحترام شديد وبكرم الضيافة المعروفة في تلك الفترة.

عندما كنت أزور البيوت، كنت أجلس وأستمع إلى القصص والحكايات من الكبار في السن، أي من أشخاص عايشوا النكبة، كانوا واعين للأحداث وما جرى في حينه، كانوا يحدثونني عما جرى معهم وكيف تجاوزوا فترة الحرب، كيف تركوا قراهم ولجأوا إلى المخيم.

كنت مستمعاً جيداً، اعتدت أن أسمع دون أن أُناقش وأعرض وجهة نظري، بل كنت في مرحلة البحث عن الحقيقة. لم أُجادلهم أو أدّعي أنّ هذه بلادي وليست بلادهم وأنّ الحق عليكم لرفضكم قرار التقسيم، كما هو مُعتاد من يهودي مستوطن، ففي النهاية كنت أنا المستوطن الذي جاء بهدف تقاسم هذه البلاد معهم، وأحمل فكر المستوطن الذي جاء ليعيش مع العرب وليس بهدف طردهم. مع الأيام وصلت إلى الخلاصة أن هناك شعباً منكوباً ومظلوماً وله حقوق، وبدأ التغيير عندي، لكنّ هذا التغيير رافقته قلة الحيلة، فما عساني أن أفعل؟!

عندما أتممت الـ ١٨ عاماً ذهبت كمعظم اليهود إلى الجيش، وبعد إنهاء فترة الخدمة العسكرية ذهبت لكي أتعلم، وبما أنني لم أدرس سابقاً عملت في ورش البناء، وفي المقابل كنت أفكر في الموضوع الذي أرغب في دراسته مستقبلاً.

كل فكري كان متوجهاً نحو فكرة اللجوء، ولأن هذا الموضوع غير دارج في الجامعات وليس له مساق خاص، توجهت إلى دراسة الشرق الأوسط، التي تشمل دراسة عامة عن تاريخ الإسلام والشرق الأوسط الحديث وغيرهما من مواضيع، إذ إنه لم تكن في الجامعة العبرية في أواخر الثمانينيات دورات تتخصص بعرب فلسطين!

تابعت الدراسة من اللقب الأول إلى اللقب الثاني. وفي رسالة الماجستير قمتُ ببحث موضوع اللاجئين في أرضهم، داخل إسرائيل، والبحث نُشر بالعبرية والعربية تحت عنوان: «الغائبون الحاضرون- اللاجئون الفلسطينيون في إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ». بعد هذا الإصدار الذي لاقى التجاوب الكبير أجريتُ أبحاثاً أُخرى عن موضوع الفلسطينيين الذي تعاونوا مع الحركة الصهيونية ومع دولة إسرائيل، حيث طرحت الأسئلة من عدة جوانب، منها: الأسباب التي دفعتهم إلى التعاون، وتعامل الحركة الوطنية الفلسطينية مع القضية، وطرق عمل الأجهزة الأمنية الصهيونية».

(*) في ظل هذه السيرة، ما هو جوهر التربية التي تمنحها لأولادك؟

لديّ ثلاثة أولاد، وجميعهم يتعلمون في مدرسةٍ ثنائية اللغة (العبرية والعربية). وأُحاول دائماً مدَّهم بالمعلومات الدقيقة لمساعدتهم في تكوين صورة صحيحة عن الوضع العام، خاصة فيما يتعلق بالصراع الفلسطيني- الإسرائيلي.

برأيي، من المفضل أن يتعلموا التحدث باللغة العربية، وأن يتعرفوا عليها، وأن يكون لديهم أصدقاء عرب. صراحةً، لا أعرف إن كانت هذه التجربة مفيدة أم لا، لم أقرر بعد، ولكن من الأكيد أنّه في كل تجربة هناك نقاط إيجابية ونقاط سلبية، على الأقل في هذه الحالة لن يكون لديهم تخوف من الفلسطينيين، أو شعور بأنهم غرباء، أو شعور استعلائيّ بأنهم أفضل منهم، لأن هذه ثلاثة أفكار نمطية موجودة في المجتمع الإسرائيلي، والمدارسُ ثنائية اللغة قادرة على تجاوزها.

((هناك حرية أكاديمية، وفي مقابل ذلك هناك تقييد ذاتي. من جهة، أستطيع التحدث بحريةٍ عن موضوع حقوق الفلسطينيين وعن نكبتهم، رغم أنّ نظريتي أو مقولتي ممكن أن تكون مغايرة للإجماع الصهيوني، إلا أنّ حريتي مقيدة بشكل كبير، وذاتيًا يمكن القول، بمعنى أنّني لا أريد إقناع طلابي بأفكاري السياسية، بل أكتفي بطرح أسئلة وعلامات استفهام عن مواضيع لا يفكّر فيها الإسرائيلي بشكل عام، أو تقديم معلومات لا تكون ضمن الإجماع العام.))

(*) هل تعتقد أنّ ثمة حريةً أكاديميةً في الجامعات الإسرائيلية؟

هناك حرية أكاديمية، وفي مقابل ذلك هناك تقييد ذاتي. من جهة، أستطيع التحدث بحريةٍ عن موضوع حقوق الفلسطينيين وعن نكبتهم، رغم أنّ نظريتي أو مقولتي ممكن أن تكون مغايرة للإجماع الصهيوني، إلا أنّ حريتي مقيدة بشكل كبير، وذاتيًا يمكن القول، بمعنى أنّني لا أريد إقناع طلابي بأفكاري السياسية، بل أكتفي بطرح أسئلة وعلامات استفهام عن مواضيع لا يفكّر فيها الإسرائيلي بشكل عام، أو تقديم معلومات لا تكون ضمن الإجماع العام.

بشكلٍ عام، تعتبر الجامعات الإسرائيلية أقرب إلى اليسار، وأكبر مثال على ذلك نتائج الانتخابات الافتراضية للكنيست في الجامعة، التي أظهرت فوزاً لميرتس والمعسكر الصهيوني، لكن المقصود هنا طبعاً هو يسار الوسط أو اليسار الصهيوني، فالمؤسسات الأكاديمية لا تحب اليمين الراديكالي، لكنها أيضاً لا تحب اليسار الراديكالي. وبالنسبة لها من الصحيّ أن تكون معارضة هنا أو هناك، لكن ليس لدرجة الانخراط في حركات مناهضة لإسرائيل، أي يمكنك التعبير عن ذاتك، إلا أنه ضمن المحدود والمعقول الذي يحدده هذا اليسار، المعارض بطبيعة الحال لكل حركة احتجاج مثل الـ BDS.

لا أرى أيَّ أفق للتسوية حالياً

(*) وبالنسبة للوضع السياسي، هل ما زال هناك أفقٌ لأي تسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين؟

للأسف لا أرى أي أفق للتسوية حاليّاً. وذلك عائد لأسباب كثيرة، منها أن القيادة الفلسطينية منقسمة، ومحمود عباس (أبو مازن) لا يمثل جميع الفلسطينيين، والقيادة الإسرائيلية لا تريد تسوية، والطريق الوحيدة للتسوية السياسية هي ضغط دولي أو مشاركة دولية فعّالة، لكنّ هذا الخيار غير متوفر حالياً لكثرة المشاكل في العالم وعدم انشغاله بالقضية الفلسطينية الآن.

وحتى لو تغيرت الحكومة في إسرائيل، فاليسار الصهيوني أيضاً لن يعطي الفلسطينيين تنازلات أكثر مما قدم له إيهود باراك (رئيس الحكومة السابق) في العام ٢٠٠٠، ولم يقبله الفلسطينيون أيضاً، علماً أنّ التقسيم لم يكن مقبولاً من الفلسطينيين عام ١٩٤٧ وأصبح مقبولاً في العام ١٩٨٨.

برأيي، لو قرر العالم ممثلاً بالاتحاد الأوروبي وأميركا وكل دول العالم وضغط من أجل أن تحصل تسوية، فسوف تحصل، وممكن أن تكون الخطوة الأولى نحو حلّ عادل.

(*) ما هو تقييمك لآخر لتطورات الإقليمية في العالم العربي؟

تنظيم «داعش» أصبح من جيراننا حالياً في سيناء وهذا يعزز من قوة اليمين الإسرائيلي، ويعزز موقف كل شخص يقف ضد التسوية السياسية.

إضافة إلى ذلك، يتحدث محللون إسرائيليون عن إمكانية وصول «داعش» إلى الضفة الغربية في حال أُقيمت الدولة الفلسطينية، وبما أن جهات يمينية تستغل وجود «داعش» للتحريض ضد العرب والمسلمين، فهناك خطر على سكان المنطقة– العرب قبل اليهود – من وجود هذا التنظيم.

الحديث السائد اليوم في الشارع الإسرائيلي هو عن بشاعة مجازر نظام الأسد والحركات الجهادية في سورية، وعن تعطش العالم العربي للدماء، وهذا الشارع بات مقتنعاً أنه لا يوجد عربي إنساني، فمشاهد الدم أبلغ من كل شيء، وهذا فقط يعزز من قوة اليمين القادر، كما يدّعي، على حماية الإسرائيليين من هذا الخطر المحدق بهم.

(*) كيف يؤثر ذلك على سياسة إسرائيل تجاه المواطنين

((يتحدث محللون إسرائيليون عن إمكانية وصول «داعش» إلى الضفة الغربية في حال أُقيمت الدولة الفلسطينية، وبما أن جهات يمينية تستغل وجود «داعش» للتحريض ضد العرب والمسلمين، فهناك خطر على سكان المنطقة- العرب قبل اليهود - من وجود هذا التنظيم.

الحديث السائد اليوم في الشارع الإسرائيلي هو عن بشاعة مجازر نظام الأسد والحركات الجهادية في سورية، وعن تعطش العالم العربي للدماء، وهذا الشارع بات مقتنعاً أنه لا يوجد عربي إنساني، فمشاهد الدم أبلغ من كل شيء، وهذا فقط يعزز من قوة اليمين القادر، كما يدّعي، على حماية الإسرائيليين من هذا الخطر المحدق بهم.))

العرب في الدولة؟ وإلى أين وصلت العلاقة بين الطرفين؟ كيف يمكن قراءة حراكات المواطنين العرب مؤخراً؟

من المهم القول إنني سعيد بتجربة القائمة المشتركة، لعدة أسباب، منها أنّ زوجتي كانت تصوت للجبهة، وأنا للتجمع، وكان بيننا خلاف دائم، واليوم هذا الخلاف غير موجود، فنحن نصوت للقائمة ذاتها.

في إسرائيل هناك ثلاثة تيارات للعرب: التيار الذي يبحث عن هدوء وأمن اقتصادي، ويتجاوب بشكل كبير مع المساعي الإسرائيلية لسيطرةٍ سياسيةٍ على العرب ومساومتهم بذلك على هويتهم الوطنية، وبالنسبة لهذا التيار يُفضَّل أن يكون بعيداً عن السياسة طالما «لقمة عيشه» كانت متوفرة. التيار الثاني هو القومي الوطني، وهو في مواجهةٍ دائمةٍ مع الدولة، وهناك محاولات لنزع الشرعية عنه. والتيار الثالث هو الإسلامي.

تجربة القائمة المشتركة أوضحت أن هذه التيارات قادرة، بشكلٍ أو بآخر، على السير سوية من أجل مصلحة العربي، وإن كانت هنا أو هناك خلافات، مثلا المشاركة أو مقاطعة جنازة شمعون بيريس، المشاركة أو مقاطعة مظاهرة لليهود من أصل أثيوبي، لكن برغم الاختلافات في المواقف إلا أن الوضع بحاجة إلى تكاتف القوى والعمل بصورة مشتركة.

(*) كيف تنظر إلى الهبّة الشعبية الفلسطينية الأخيرة، لا سيما في القدس؟

من نافل القول إن في القدس مشروعاً توسعياً استيطانياً، وإنّ إسرائيل تعتبر القدس عاصمتها الموحدة، بالأساس لمكانتها الدينية، وعليه قد تكون هذه الهبات أو ردود الفعل مفهومةً للجانب الإسرائيلي، ويعمل على إخمادها، لكن لا يعني أنّ القدس- كعاصمة لإسرائيل- في خطر.

أضف إلى ذلك، ادعاء العرب بعدم وجود جبل الهيكل وتسميته (الهيكل المزعوم)، وهذا يُعتبر بحد ذاته، برأي اليهود، إنكاراً لحقيقة تاريخية ونموذجاً لعدم الجدية عند العرب. إلا أنّ إنكار تاريخ الطرف الآخر بات من أساليب الصراع، وهو موجود عند الطرفين ويعرقل الوصول إلى تفاهمات سياسية، فكيف تتفاهم مع شعب لا تاريخ له ولا حقوق؟!

أمّا الحياة اليومية في القدس، فلا تنتهي عند السياسة فقط. القدس الغربية تحولت إلى حيزٍ مشتركٍ للإسرائيليين والفلسطينيين المقدسيين. فعلى سبيل المثال لا الحصر، إذا وصلنا إلى مجمع المالحة التجاري، نرى أن الكثير من المتسوقين هم من العرب، كما أنّ المقدسيين يعملون في المؤسسات الإسرائيلية المختلفة الرسمية والتجارية، وحتى بناء المستوطنات حول القدس تم بأيادٍ عربية، كل هذا من جهة، ومن جهة ثانية أساليب النضال ومواجهة الآخر للطرفين مستمرة.

حكومات اليمين وحكومات اليسار تبنَّت النهج نفسه تجاه القضية الفلسطينية

(*) هل يمكن تصنيف الخارطة السياسية الإسرائيلية إلى يمين ويسار؟

برأيي هذا تصنيف غير دقيق، فمعظم اليمين يصوّت لليمين، ليس من منطلقات أيديولوجية بقدر ما هو بدافع انتماء إثني، يهودي شرقي أو يهودي أوروبي، ناهيك عن أنّ هناك من يصوت لليمين بدافع الكراهية لحزب العمل.

فعليّاً، انتهجت حكومات اليمين وحكومات اليسار النهج نفسه

((نعم هناك حراك أوسع لليهود الشرقيين، لكنّ عدداً كبيراً من اليهود الشرقيين أنفسهم لا ينتمون إلى هذا الحراك حتى الآن، فلا يمكننا التحدث عن كل اليهود الشرقيين كجسم واحد، هناك من يتبع منهم لليمين، أو لليسار، وهناك من يسكن المناطق النائية شماليّ البلاد، وهناك من يسكن جنوبيّ البلاد؛ في سديروت مثلاً.

هناك بين اليهود الشرقيين أقلية مناهضة للاحتلال والكولونيالية الصهيونية، وفي المقابل هناك أيضاً تيارات معاكسة لهذا التوجه، وتحمل عنصريةً أكبر، ولذا لا يمكن التعامل مع الشرقيين كجسم واحد وكأصحاب موقف واحد، وحتى في مسألة التحديات التي تواجههم داخليّاً.))

تقريباً تجاه القضية الفلسطينية، وعليه لا يمكن أن نُفّصِل السياسة الإسرائيلية إلى يمين أو يسار.

(*) عند الحديث عن اليهود الشرقيين، نلمس في الآونة الأخيرة حراكاً لليهود الشرقيين ضد المؤسسة الإسرائيلية والأغلبية الأشكنازية؟

نعم هناك حراك أوسع لليهود الشرقيين، لكنّ عدداً كبيراً من اليهود الشرقيين أنفسهم لا ينتمون إلى هذا الحراك حتى الآن، فلا يمكننا التحدث عن كل اليهود الشرقيين كجسم واحد، هناك من يتبع منهم لليمين، أو لليسار، وهناك من يسكن المناطق النائية شماليّ البلاد، وهناك من يسكن جنوبيّ البلاد؛ في سديروت مثلاً.

هناك بين اليهود الشرقيين أقلية مناهضة للاحتلال والكولونيالية الصهيونية، وفي المقابل هناك أيضاً تيارات معاكسة لهذا التوجه، وتحمل عنصريةً أكبر، ولذا لا يمكن التعامل مع الشرقيين كجسم واحد وكأصحاب موقف واحد، وحتى في مسألة التحديات التي تواجههم داخليّاً.

(*) عدا ما يسمى «التهديد الأمني»، وأخذً احتجاجات ٢٠١١ بعين الاعتبار، والوضع الاقتصادي السيئ بشكل عام للإسرائيلي، ألا تُواجه إسرائيل أي تهديدات داخلية؟

لا أعتقد. حتى احتجاجات عام ٢٠١١ تم إخمادها بسبب التحديات الأمنية، الحقيقية أو الموهومة، وبالتالي التهديد الأمني هو الأكبر برأي الإسرائيلي، وهو المؤثر الأكبر على السياسة هنا.

البرجوازي الإسرائيلي يقدس فكرة يهودية الدولة وأمنها على أي خطر أو تهديد آخر، ولذا مع تعاظم قوة «داعش» في الدول العربية، وتفاقم التطورات الأمنية، يعتقد الإسرائيليون أن التهديد الواحد الماثل أمام إسرائيل هو أمني.

(*) هل تهدف إلى غايةٍ محدَّدةٍ من وراء أبحاثك؟

أنا أكتب لأنني أؤمن بالحقيقة، ولا أُحب الكذب والتزوير، وحتى في حياتي العادية أحاول أن أمتنع عن الكذب. لا أحب تزوير التاريخ من أيِّ جهةٍ كانت، عربيةً أم يهودية، ولذا أرفض الإنكار العربي للتاريخ اليهودي في بيت المقدس أو الإنكار اليهودي للتاريخ الفلسطيني فيها.

برأيي مهم أن ندقق في الوقائع والتاريخ، وألا نكتب قصصاً وأساطير، بل أن نكتب عما نعرفه وعما يتوجب على أولادنا أن يتربوا عليه ويعرفوه.

أضف إلى ذلك، علينا ألا ننسى الثمن الذي يدفعه الشعب الفلسطيني نتيجة المشروع الصهيوني ومَن هو المُحتل والواقع تحت الاحتلال.

(*) هناك اجتهاداتٌ كثيرة، وأساسها إسرائيلي، تؤكد أن المجتمع اليهودي في إسرائيل خضع إلى تحولات كبيرة، من مؤشراتها في السنوات الأخيرة ازدياد قوى المستوطنين وأحزاب اليمين، وثمة بين هذه الاجتهادات من يؤكد أن إسرائيل تحولت إلى دولة أقل ديمقراطية، ووضعت القضية الفلسطينية وراء ظهرها، ما رأيك؟

هذا التطور السلبي جاء ليس بسبب السياسة الإسرائيلية فقط، وإنما أيضاً كردّ فعلٍ على ما يقوم به الطرف الفلسطيني. الفلسطينيون لهم ضلع في المسؤولية عن هذا التحوّل في السياسة الإسرائيلية.

إذا نظرنا إلى المعطيات، نرى أنه في الانتفاضة الأولى، أي ما بين السنوات ١٩٨٧ إلى ١٩٩٣، قتل ١٦٠ يهودياً مقابل ١١٠٠ فلسطيني، ولكن بين السنوات ١٩٩٤ إلى ٢٠٠٠ (اندلاع الانتفاضة الثانية)، وهي فترة اتفاق أوسلو الذي رحب به اليسار الإسرائيلي، انخفض عدد القتلى الفلسطينيين جراء النزاع إلى ٢٦٠ شخصاً، هذا يعني أنه انخفض بنسبة ٧٥٪، وفي المقابل ارتفع عدد القتلى اليهود بـ ٧٥٪، بدل ١٦٠ أصبح ٢٦٠ قتيلاً، الأمر الذي دفع بمعظم المجتمع الإسرائيلي إلى الاقتناع بأنّ أوسلو كان صفقة خاسرة. نحن الأقوى عسكريّاً، ونستطيع فرض الأمن، فلماذا سنسمح لهم بقتلنا إذا كُنا قادرين على الدفاع عن نفسنا. وهذا النقاش تحول لاحقاً إلى بوصلة للقيادة، من اليسار ومن اليمين. ودور القيادة الفلسطينية هنا، مع الأسف الشديد، لم يكن إيجابياً، خاصةً عندما قررت الدخول بالانتفاضة المسلحة وبما يسمّى العمليات الاستشهادية داخل إسرائيل. وبرأيي إن من أيدوا مثل هذه العمليات ضد إسرائيل، خاصة من حركة «فتح»، كانوا مخطئين في اعتقادهم أن الإسرائيليين عندما يشاهدون الثمن الباهظ للانتفاضة يمكن أن يضغطوا على حكومتهم لتنسحب من الضفة، وما حدث هو العكس، فنحن كشعبٍ يهوديٍّ وكدولة إسرائيل نعي أننا الأقوى، ولن نقوم بالتراجع أو عقد صفقات أو اتفاقات مع أطراف تسعى إلى النيل منا.

(*) هل هذا الاتهام ينسحب أيضاً على القيادة الفلسطينية الحالية؟

هذا ليس اتهاماً، إنه مجرد تحليل لردّ فعل المجتمع الإسرائيلي على انتفاضة الأقصى. والجيل الذي عاش الكراهية والانتفاضة والعمليات الاستشهادية، من العام ٢٠٠١ لغاية العام ٢٠٠٥، أصبح اليوم من شريحة الشباب في المجتمع الإسرائيلي، ومن الصعب تغيير مواقف الشباب، خاصة إذا عاشوا وعانوا من حالات هلع وخوف، وقد نقول إنّ هذه المهمة مستحيلة.

علينا ألا ننسى دور القيادة الإسرائيلية في التدهور نحو الانتفاضة الثانية، لكن برأيي مَن دمر اليسار الإسرائيلي هو العمليات التفجيرية، ومَن عزز اليمين الإسرائيلي هو العمليات التفجيرية أيضاً، ومن يعارض أي اتفاق مع إسرائيل تكون مشاركته في العمليات التفجيرية مفهومة أكثر من مشاركة مَن يدّعي أنه مع حل الدولتين.